مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 6 (رت 68) السنة: 2022

النسخ وإشكالية أزلية النص القرآني عند طيب تيزيني– عرض ونقد–

Transcription and problematic of eternality of qur'anic texts in Tayab Tizinistudies exposure and critic

نعيمة بلفروم[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
naimabelferroum@gmail.com
أ.د حدة سابق
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
tesnim4025@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/04/15 القبول 2022/08/21 النشر على الخط 2022/09/15
Received 15/04/2021 Accepted 21/08/2022 Published online 15/09/2022

ملخص:

يعدّ طيب تيزيني من أبرز الحداثيين الذين عنوا بحقل الدراسات الإسلامية على وجه العموم، وبالقرآن الكريم على وجه الخصوص، حيث عمل في كتابه" النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة" على إثبات تاريخية النص القرآني، و جعل من موضوع النسخ أحد الروافد التي توصله إلى غايته، باعتبار أن النسخ في مفهومه يحمل معنى تغيير الأحكام وتبديلها وفق ما يتماشى مع العصر المعاش. لكن الإشكالية التي اعترضت تيزيني في هذا الموضوع هي تعارض موضوع النسخ مع القول بأزلية النص القرآني، فالأول يعني التغيير والتبديل في النص القرآني، أما الثاني فيدل على الإقرار بوجود نص ثابت غير متغير في اللوح المحفوظ، وقد جاءت هذه الورقة البحثية للإجابة عن الإشكالية التي طرحها تيزيني في الموضوع.

الكلمات المفتاحية: النسخ، أزلية النص، التاريخية، النص القرآني، طيب تيزيني.

Abstract:

Tayab Tizini is among the prominet modernists who focused on Islamic studies in general and in the qur'an in particular. In his book "qur'anic text before the problematic of structure and reading" Tizini attempted on proving the historicism of qur'anic text and rendered"transcription" as one of the branches that would allaw reachinghis goal ، considering that transcription by difinition changes provisions according to eras،meaning that0 rulings are bound by their time frame .However، the problematic that challenged Tizini in this matteris the conflict of the topic of transcription with the saying of "qur'anic eternality" the first means change and transposition in the qur'anic text،whilst the second indicates the acknowledgment of a steady stable unwavering text in the holy scripture.

Keywords:Transcription، Texteternality، Historical، Qur'anic text، Tayab Tizini.

[1] المؤلف المراسل: **نعيمة بلفروم** البريد الالكتروني: **naimabelferroum@gmail.com**

1. مقدمة:

يعتبر موضوع النسخ من المواضيع القديمة المتجددة، القديمة من حيث تناولها من قبل العلماء و المفسرين من جوانب عديدة كالجانب الأصولي والكلامي...، والمتجددة من حيث محاولة إخضاع الموضوع لمشرحة النقد؛ وهذا نظرا لعديد الأسئلة التي يثيرها هذا الموضوع عند التيار الحداثي على وجه الخصوص، وقد كان لهم هدف سعوا الوصول إليه من وراء هذا الطرح، ألا وهو القول بتاريخية القرآن الكريم. حيث قالوا بوجوب تأثير الواقع على النص القرآني كما حدث في عهد رسول الله تحت مسمى "النسخ"، لكي يكون صالحا لكل زمان ومكان، فالنسخ عندهم لم ينته بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هو ساري المفعول حتى وقتنا هذا.

يعد طيب تيزيني من أبرز الحداثيين الذين روجوا لهذه الأفكار من خلال كتابه" النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة"، حيث دعا إلى إعادة قراءة النص القرآني وتأويله وفق ما يتماشى مع العصر الحالي، وهذا من خلال تجاوز بعض أحكامه التي لا تتناسب مع عصرنا باستخدام النسخ، لكن هذا الموضوع قد أثار عنده إشكالية مهمة وهي كيفية التوفيق بين ظاهرة النسخ الذي تعد تعديلا للنَص وتغييرا له، وبين القول بأزلية النص القرآني، الذي يقر بوجود نص ثابت غير متغير في اللوح المحفوظ، و تندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات: ماهو مفهوم النسخ عند طيب تيزيني، و ماهو موقفه منه، وما هو وجه التناقض الذي وقع بين النسخ و القول بأزلية القرآن الكريم؟ ما هي العلاقة بين موضوع النسخ وجمع القرآن الكريم عند طيب تيزيني؟ ماهي أهم النتائج التي ترتبت عن القول بأزلية القرآن الكريم عند طيب تيزيني؟.

وقد هدفت من وراء بحثي هذا إلى بيان موقف طيب تيزيني من موضوع النسخ، وكيف وظفه للوصول إلى القول بتاريخية النص القرآني، كما أني حاولت بيان أنه لا تعارض بين موضوع النسخ والقول بأزلية القرآن الكريم في اللوح المحفوظ، وبالتالي فالقرآن الكريم قد حفظ في كل مراحل جمعه.

لقد حظي موضوع النسخ بدراسات عديدة ومتنوعة، لكن ما يخص علاقة النسخ بموضوع أزلية القرآن لم نقف على دراسة مستقلة تحت هذا العنوان- حسب الاستقصاء القاصر- باستثناء مقال للدكتور سعيد عبيدي في مجلة الدراسات الاستشراقية تحت عنوان" طيب تيزيني والقرآن الكريم من وهم تاريخية النص إلى اجترار شبهات المستشرقين"، حيث تناول فيها الباحث أهم مباحث علوم القرآن والتفسير التي استغلها تيزيني لإثبات تاريخية النص القرآني من محكم ومتشابه وإعجاز والنسخ وأسباب النزول ...، وأثبت كذلك بأن كل ما ادعاه هذا وغيره كان بغرض إثبات تاريخية القرآن الكريم، وأن لا جديد فيها لأنها اجترار لأقوال المستشرقين لا غير، وقد استفدت من هذه الدراسة كثيرا حيث أنها حصرت لي أغلب أقوال تيزيني في موضوع النسخ، لكن دراستنا هذه جاءت للإجابة عن إشكاليتين طرحها الاتجاه العلماني وهما: تعارض القول بالنسخ مع أزلية النص القرآني، وتذرع الصحابة بالنسخ لإخفاء التلاعبات التي حصلت أثناء عملية جمع القرآن الكريم، مع نقد لهاته الأفكار وبيان فساد أطروحات العلمانيين في هذا الشأن.

تنوعت مناهج البحث في هذه المداخلة بحسب الموضوع المطروح، فقد استخدمت المنهج الإستقرائي في جمع آراء طيب تيزيني في موضوع النسخ من خلال كتابه، كما استعنت بالمنهج التحليلي الوصفي لتحليل أقواله وتقييمها، للوصول إلى الإجابة عن الإشكالية المطروحة سابقا.

2. تمهيد:

1.2 – تعريف النسخ وموقف الحداثيين منه.

أ– النسخ لغة: لقد تنوعت التعاريف اللغوية للنسخ في القواميس اللغوية لعل أهمها:

ورد في مقاييس اللغة:" النون والسين والخاء أصل واحد، إلا أنه مختلف في قياسه. قال قوم: قياسه رفع شيء وإثبات غيره مكانه. وقال آخرون: قياسه تحويل شيء إلى شيء..."[1]. و في مختار الصحاح فالنسخ هو:" الإزالة، نسخ الآية بالآية إزالة مثل حكمها..."[2]. أما في كتاب الكليات:" النسخ في اللغة النقل والتحويل، ومنه نسخ الكتاب، فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ، وبمعنى الرفع أيضا يقال: نسخت الشمس الظل: إذا ذهبت به وأبطلته، فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخا وبعضه منسوخا" [3]. وبهذا نجد بأن معنى النسخ في اللغة يدور على معنيين اثنين وهما: الإبطال والإزالة، أو النقل والتحويل بعد الثبوت.

اصطلاحا:لقد تعددت التعريفات الاصطلاحية للنسخ واختلفت بين الأصوليين، حيث يقول الإمام الزركشي:" عرفه الفقهاء بأنه الخطاب الدال على انتهاء الحكم الشرعي مع التأخير في مورده" [4].أما الإمام الجويني فيقول:" النسخ هو اللفظ الدال على انتهاء أمد الحكم الشرعي مع تأخير عن مورده"[5]...

ب– موقف الحداثيين من موضوع النسخ:

لقد وجد الحداثيون في موضوع النسخ التربة الخصبة لإثارة شبهاتهم وافتراءاتهم حول القرآن الكريم، فقالوا بأن النسخ سمح بالتلاعب بالنص القرآني زيادة ونقصانا، وأن العلماء الذين اهتموا بالموضوع دراسة وتأصيلا لم يتطرقوا لنقطة مهمة وهي تناقض القول بحدوث النسخ مع أزلية النص القرآني، ذلك أن رفع الآيات وتغييرها تحت ما يسمى بالنسخ يجعل القرآن المكتوب مختلفا عما يوجد في اللوح المحفوظ، وهذا ما يتنافى مع حفظ القرآن من التغيير. وممن تبنى هذا القول طيب تيزيني، حيث اعتبر أن موضوع النسخ من أهم الروافد التي يصل بها إلى القول بتاريخية القرآن الكريم.

تثير ظاهرة النسخ في وجه الفكر الديني السائد والمستقر إشكاليتين يتحاشى مناقشتهما، الإشكالية الأولى: كيف يمكن التوفيق بين هذه الظاهرة بما يترتب عليها من تعديل للنص بالنسخ والإلغاء، وبين الإيمان الذي شاع واستقر بوجود أزلي للنص في اللوح المحفوظ؟

---

[1]– أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399ه/1979م، 424/5.

[2]– أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة المصرية– الدار النموذجية، 1420ه/1999م، 309/1.

[3]– أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش– محمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، 892/1.

[4]– بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ط1، دار الكتبي، 1414ه/1994م، 199/5.

[5]– أبو المعالي الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، ط1، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1418ه/1997م، 246/2.

والإشكالية الثانية التي تثيرها ظاهرة النسخ هي: إشكالية جمع القرآن في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، والذي يربط بين النسخ ومشكلة الجمع ما يورده علماء القرآن من أمثلة قد توهم بأن بعض أجزاء النص قد نسيت من الذاكرة الإنسانية.[1]

اعتبر التيار الحداثي أن النسخ قد أثار إشكاليتين اثنتين تحاشى العلماء الخوض فيها، الأولى: التوفيق بين القول بالنسخ وأزلية النص القرآني، والثانية: علاقة النسخ بجمع القرآن، حيث قالوا أن جمع القرآن في عهد أبي بكر تعرض لعمليات تلاعب من زيادة ونقصان، و لإخفاء ذلك استنجد الصحابة بموضوع النسخ لاخفاء الاضطراب.

2.2 السيرة الذاتية والعلمية المختصرة لطيب تيزيني:

ولد التيزيني في مدينة حمص عام 1934م، وترعرع في عائلة مثلت جميع السوريين في تعدد مشارب أفرادها وعلى اختلاف تطلعاتهم، فوالده كان يعمل قاضيا شرعيا، محافظا متنورا في آن واحد، وإخوته كانوا منقسمين بين التنوير والتصوف، وكان لهم كل الأثر في بناء شخصيته التي تغذت من مكتبة الأب، وأمه كانت سنية الجندلي تنحدر من أعرق عائلات حمص المترفة، كما أنه قد اطلع باكرا على أدب الروس وقرأ لأفلاطون وأحمد أمين...فكان نتيجة قراءاته أن اقترب من الفكر المتنور كثيرا.[2]

درس الفلسفة في جامعة دمشق، وانتقل منها إلى تركيا وبريطانيا وألمانيا التي حصل فيها على الدكتوراه الفلسفة عام 1967م في أطروحة " تمهيد في الفلسفة العربية الوسيطة"، ثم حصل على دكتوراه أخرى في العلوم الفلسفية عام 1973م، ليعود مرة أخرى إلى جامعة دمشق أستاذا في الفلسفة. تم اختيار تيزيني عام 1998م من أهم مئة فيلسوف عالمي بحسب مؤسسة كونكورديا الفلسفية الأوروبية، له العديد من المؤلفات وأغلبها عبارة عن مشاريع فكرية تصدر على شكل سلسلة في المحور ذاته، توفي يوم السبت 18 ماي 2019م عن عمر يناهز 85 عام في مسقط رأسه حمص بعد صراع طويل مع المرض .[3]

يعد طيب تيزيني من أنصار الفكر الماركسي السوري، اعتمد على الجدلية التاريخية في مشروعه الفلسفي لإعادة قراءة الفكر العربي منذ ما قبل الإسلام وحتى يومنا هذا. يعتمد الماركسية مذهبا، والمادية التاريخية منهجا، حيث يقول بأن النظرية الاشتراكية العلمية هي المنظار الذي يجب أن ننظر من خلاله إلى التراث، فما استقام منه لها قبلناه، وما لا يستجيب منه لذلك فإنه يعزل تاريخيا.كما أنه كان مولع بالتراث ومن المهتمين بالدفاع عن حرية الفكر وحرية الانسان وكرامة المواطن ويتصف بسجالاته الحوارية الحادة ونقده الصارم لكل المشاركين في اغتيال ومحاصرة الوعي و العقل وتهميش وتدمير المشروع النهضوي الحضاري ، الثقافي والفكري...[4] بعد ذكر هذا السيرة المختصرة عرفنا أين ترعرع التيزيني ، وتبين لنا مشرب الرجل ومذهبه وتوجهه الفكري، وهذا ما سيسهل علينا فهم أفكاره وتوجهاته.

3.المطلب الأول: النسخ وأزلية النص القرآني عند طيب تيزيني.

[1]–نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، ص 131.

[2]- سامر محمد إسماعيل، السوري الطيب تيزيني فيلسوف التنويرواجه داعش والعولمة، www. Independentarabia.com.

[3]– انظر: الأنباط، رحيل المفكر السوري طيب تيزيني ..أحد أهم مئة فيلسوف عالمي، www.de alanbatnews.net/ رحيل الفيلسوف والمعارض طيب تيزيني في حمص السورية، www. De aljazeera.net.

[4]– انظر: سيد بن حسين العفاني، أعلام وأقزام في ميزان الاسلام، دار ماجد عيري للنشر والتوزيع، 642/1./ محمود محمد على، الطيب تيزيني ..عاشق الجدلية التاريخية، صحيفة المثقف العدد5768 ، www. Almothaqaf.com.

1.3 الفرع الأول: مفهوم النسخ عند طيب تيزيني، ووقوعه في عالمه الذاتي الداخلي.

أ- النسخ عند طيب تيزيني:

سعى طيب تيزيني إلى إثبات تاريخية القرآن الكريم من خلال إثارة موضوع النسخ، وليلبس فكرته هذه ثوبا شرعيا استدل بقول مصطفى الرفاعي الذي أقر بأن الشريعة الإسلامية وُجدت لتكون صالحة لكل زمان ومكان، ومتماشية مع جميع التطورات الإجتماعية[1]. وبقدر ما في العبارة من صحة بقدر ما فيها من نوايا خبيثة في توظيف طيب تيزيني لها في هذا الموضع بالذات، فهو يسعى للوصول إلى فكرة مفادها بأنه يمكن توظيف نظرية الناسخ والمنسوخ في مختلف العصور من قبل متخصصين في المجال؛ لأن القرآن كما قال صالح لكل زمان ومكان، وقد استدل بعمل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده – حسب قوله-.

وكعادة الحداثيين في عدم وضع تعاريف دقيقة للمصطلحات، لم يحدد طيب تيزيني تعريفا شاملا للنسخ، وإنما اكتفى بإيراد آراء وتصورات حوله أثناء حديثه عن الموضوع، فنجده مثلا عندما تحدث عن علاقة الناسخ والمنسوخ بالوضعية الإجتماعية المشخصة أورد مفهوما عاما للنسخ وقال بأنه إبطال لمفعول آية قرآنية من خلال آية أخرى اعتبرت أكثر استجابة منها للمعطيات المستجدة في الواقع الجديد المتحول والمتصاعد نحو التعقد...[2]. والملاحظ من خلال هذا التعريف القاصر للناسخ والمنسوخ أن همَ طيب تيزيني الوحيد هو ربط الموضوع بالواقع المعاش، دون وضع أي اعتبار أو خصوصية لموضوع النسخ- اثبات تاريخية النص القرآني-.

كما نجده أيضا قد تحدث عن مفهوم النسخ في اقتراح له عن إمكانية تفعيل عملية النسخ من قبل أناس مؤمنين خاضعين للتغير الإجتماعي كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال بأن النسخ عملية تعليق لأحكام وقواعد قرآنية من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لكونها لا تستجيب للواقع المشخص، ووسمه بطابع قرآني حيث يقول:" لقد جرى تعليق مجموعة من الأحكام والقواعد القرآنية على مدى قرون طويلة، وكانت بداياته الأولى قد تمثلت بصيغة الناسخ والمنسوخ، حيث تبين لمحمد الرسول أن آية معينة أصبحت دون إمكانية الإستجابة لواقع الحال المشخص المعني في حينه. وقد اكتسب هذا الأمر طابعا قرآنيا، أي مقرا به حكما. والسؤال الآن يفصح عن نفسه على النحو التالي: إذا كان النبي نفسه قد ارتأى — عبر الوحي- ضرورة إعادة النظر في آيات معينة، فلم لا يصح ذلك على أيدي الناس المؤمنين الخاضعين للتغير الإجتماعي مدا وجزرا ، وكذلك الذين جاء النص من أجلهم للناس كافة؟"[3].

إنّ طيب تيزيني لم يحدد للنسخ مفهوما شاملا رغم أنه ركز عليه كثيرا في كتابه " النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة"؛ وهذا لأن غايته من تناوله للموضوع ليس التحري عن الحقائق إنما الوصول إلى حقيقة مفادها أن وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم دليل قاطع على جدلية النص والواقع. والذي نفهمه من كلامه السابق أن النسخ يتم بإرادة رسول الله حين يرى أن مجموعة من الأحكام لا تستجيب لواقع الحال المشخص، فيستبدل آية بآية أخرى تكون أكثر استجابة للواقع الجديد المتحول.

تعقيب نقدي:

[1]- تعليق مصطفى الرفاعي على هنري ماسيه في كتاب الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، تعليق: مصطفى الرفاعي، محمد جواد مغنية، ط3، منشورات عويدات بيروت — باريس، 1988م، ص 17.

[2]- انظر: طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، دط، دار الينابيع، 1997م، ص 217.

[3]- طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقرآءة، ص 362-363.

لقد تطرق طيب تيزيني في الموضوع السابق إلى شبهتين اثنين، الأولى افتراءه بأن النسخ يمكن أن يقع من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره، والثانية ضرورة ارتباط النص القرآني بالواقع المعاش. وفيما يلي رد على ذلك:

*النسخ خاضع لإرادة الله تعالى وليس لأحد تغييره حتى من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بالعودة إلى كتب الأصول لتحديد المفهوم الاصطلاحي للنسخ، نجد أن معظم التعاريف تدور حول كونه لفظا أو خطابا، وهذا الضمير يعود على الله عز وجل أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الإمام الجويني:" هو اللفظ الدال على انتهاء أمد الحكم الشريع مع تأخير عن مورده،..."[1] .

بعد ذلك يحدد الإمام الجويني مصدر هذا النسخ فيقول:" إذا أثبت الله تعالى على المكلفين فمعناه تعلقه الأزلي به في حق المكلفين...فإذا الحكم الذي يرد النسخ عليه في علم الله تعالى غير مؤبد ولا لبس على الله تعالى..."[2]وهذا يدل بصراحة بأن مصدر النسخ الوحيد هو الله عز وجل. وقد توقف النسخ وانتهى بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم ومهمة الأصولي أو الباحث أن يكشف عنه بآلياته الأصولية.[3] وبهذا يدحض افتراء طيب تيزيني وغيره في تحديد مصدر النسخ.

* عدم صحة القول بالإرتباط الضروري بين النص والواقع:

تعدّ نظرية التطابق التي سعى طيب تيزيني تحقيقها بين النص والواقع المعاش نظرية قاصرة، وهذا نظرا للأساس الذي انطلق منه وهو محاكاة عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يقول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سعى إلى تحقيق هذا التطابق باستخدام النسخ، فهو ينسخ الآيات التي لا تتماشى مع الواقع المعاش، وهذا القول لا أساس له من الصحة بهذا الإطلاق، صحيح أنه قد نسخت بعض الآيات التي نزلت لأنها لا تخدم مصلحة الرعية، لكن في بعض الحالات فقط، وأكبر دليل على أن النص لا يستجيب للواقع المعاش الدعوة إلى الإيمان بإله واحد فرد صمد، والواقع المعاش يفرض عدة آلهة وثنية مختلفة.

إذن فالنص لا يستجيب للواقع دائما وينزل عند حاجته دائما، لأن الواقع قد لا يكون متجها في الإتجاه الذي يلائم مبادئ النص ومراده، فالقرآن الكريم يتأخر نزوله في كثير من الأحيان مع الحاجة الملحة إلى نزوله، كما كان في حادثة الإفك وفي السؤال عن الخمر، وسؤال اليهود عن الروح وغير ذلك، وأحيانا ينزل النص منددا ومفندا للواقع، ومطالبا بتغييره وقلبه، وهو ماكان يحصل، ومثال ذلك تحريم الخمر والحمر الأهلية عندما أكفئت القدور في سكك المدينة..[4]

ب –وقوع النسخ في عالم النبي الذاتي عند طيب تيزيني:

من أهم الأمور التي تطرق لها طيب تيزيني في موضوع النسخ القول بأن وقوع النسخ في القرآن الكريم كان يتم بإرادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من عند الله عز وجل، وقد أطلق عليه اسم" النسخ في عالمه الذاتي الداخلي"، حيث يقول:" وهنالك حالة بالغة الرهافة والخصوصية بالنسبة إلى تصور الوحي وعلاقة الرسول به. إنها الحالة التي تتمثل في أن النسخ لسورة ما يتم ضمن عالمه الذاتي الداخلي، دونما تدخل مباشر من الخارج. وقد يكمن وراء ذلك أن الرسول الداعية و الفاعل إجتماعيا يتبين –

[1]– أبو المعالي الجويني، البرهان في أصول الفقه، 2/246-247.

[2]– المصدر نفسه، 2/248-249.

[3]– أحمد إدريس الطحان ، العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص، ط1، دار ابن حزم، 1428هـ/2007م، ص 522.

[4]– المصدر نفسه، ص 513.

بإحالة من وحيه– أن سورة ما جاءته من هذا الأخير لا تستجيب لاحتياجات البشر المقدمة إليهم؛ فتلغى وتنسخ ضمنا... ".[1] فطيب تيزيني يقول بأن الوحي كان في علم الرسول الذاتي الداخلي، وليس أمرا خارجيا هابطا من السماء عليه، وهو بهذا ينفي مصدر القرآن الغيبي، فهو مجرد إلهام كان يفيض من نفس محمد، وقد وافقه في هذا القول أغلب الحداثيين أمثال هشام جعيط حيث يقول:" والوحي إنما هو هجوم مباغت داخل الضمير لألفاظ ومعاني مطبوعة بالغيرية..."[2]

والسر وراء تركيز طيب تيزيني وغيره من العلمانيين على موضوع الوحي هو نفي أي مصدر غيبي للقرآن الكريم، وجعله نابعا من روح محمد وفكره ومن بعد بالوسط الخارجي له، وهم في هذا لم يقولوا بدع من القول بل سبقوا في طرح الشبهة وقد رد عليها بمنتهى العلمية والموضوعية، ولو تكبدو عناء الاطلاع لكفاهم ذلك.

تعقيب نقدي:

إن القول بالنسخ النفسي أو الذاتي للقرآن الكريم لم يكن بالقول الجديد في الساحة العلمية، فقد قال بها المستشرقون، وتناقلوه فيما بينهم، وأقروا به[3]، كما قالت به الموسوعة البريطانية وأصَلت له، وما قول الحداثيين عن النسخ الذاتي إلا اجترار لما قاله أسيادهم من المستشرقين، إن لم نقل قول العرب المشركين زمن النبوة.

وهاهو طيب تيزيني يعيد ذلك، ولم يستطع أن يزيد عن ذلك ولو شيئا بسيطا، فهمُه الوحيد بقوله هذا هو نفي أي مصدر غيبي للقرآن الكريم وجعله إنتاجا بشري خالصا. والسبب الذي جعل طيب تيزيني وغيره من العلمانيين والمستشرقين يقولون بالوحي النفسي أو الذاتي هو رد الوحي إلى الحيز الإنساني الوضعي، ووجعله نابعا من ذات الإنسان، وليس نازلا عليها من المطلق المفارق، وهذه الأفكار ماهي إلا انعكاس للفلسفة المادية الوضعية التي كرسها فلاسفة النهضة الأوربية...، لكن كثيرا من المستشرقين تخلوا عن افتراءاتهم، وسلموا بأن محمد صلى الله عليه وسلم أسمى من كل ذلك وأن واقعة الوحي أجل من كل ما عرضوه من تخمينات أو تخرصات، ولكن العلمانيين لأنهم جاؤوا متأخرين فإنهم يحتاجون إلى بعض الوقت ريثما تزول الغشاوة عن أعينهم، وتنكشف الحقائق من بين الظنون.[4] هذا من جهة ومن جهة أخرى يمكن أن نرد على محتوى هذه الشبهة ببيان الفرق الشاسع بين أسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقد بينه علماءنا الأجلاء لكي لا يبقى أدنى شك في ذلك.

إذن فالقرآن الكريم هو كلام الله المنزل على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وليس لرسول الله فيه ولو حرف واحد، فيه حقائق علمية وأخبار للسابقين وأنباء للمستقبل وعتاب لرسول الله نفسه، وطريقة نزول الوحي وأحداثه مثبت في الكتب الصحاح لمن يريد أن يطلع على ذلك، ويدرك أن لا ذاتية في القرآن ولا وحي نفسي ولا صرع ولا هلوسة.

2.3 الفرع الثاني: القول بأزلية النص القرآني– تاريخية النص القرآني– يتناقض مع ظاهرة النسخ عند طيب تيزيني، وأهم نتائجها.

[1]– طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقرآءة ، ص 395–396.

[2]– انظر: هشام جعيط، الوحي والقرآن والنبوة، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2000م، ص 69.

[3]– انظر: محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ط1، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، 1416هـ/1996م، ص 123.

[4]– انظر: أحمد إدريس الطحان، العلمانيون والقرآن الكريم، ص 636–640. –بتصرف–

ونعني بتاريخية النص القرآني إخضاع النص لأثر الزمان والمكان والمخاطب مطلق، وهذا هو المعنى التي تدور حوله كل تنظرات العلمانيين ومقاصدهم في تناولهم للنص القرآني.[1] لهذا يمكن القول بأن القراءة التاريخية للنص تهدف أساسا إلى رفع عائق الحكمية، ويتمثل هذا العائق في اعتقاد أن القرآن جاء بأحكام ثابتة وأزلية، والآلية التنسيقية التي تتوسل بها خطة التأريخ في إزالة هذا العائق هي وصل الآيات بظروف بيئتها وزمانها وبسياقاتها المختلفة، ويتم هذا الوصل بواسطة منهجية خاصة منها توظيف المسائل التاريخية المسلم بها في التفسير وعلوم القرآن كمسألة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.... فقد وجد أهل القراءة الحداثية ضالتهم فيها، فركبوها لتقرير البنية التاريخية الجدلية للآيات القرآنية.[2].

يعد طيب تيزيني من أبرز العلمانيين الذين دعوا إلى إعادة قراءة النص القرآني وتأويله–القراءة التاريخية– وفق ما يماشى مع العصر، ولأنه صالح لكل زمان ومكان نفى عنه صفة الأزلية والثبات، لأن هذه الأخيرة تتعارض مع القول بوقوع النسخ في القرآن الكريم الذي يعني التغيير والتبديل في الآيات، ولما حذف بعضها إن دعت الحاجة إلى ذلك. وبناءا على هذا سنتناول هذا الموضوع على شقين اثنين: الأول قوله بأن أزلية النص القرآني يتناقض مع ظاهرة النسخ، ، والثاني أهم نتائج القول بتعارض أزلية النص القرآني مع موضوع النسخ.

أ– القول بأزلية النص القرآني يتناقض مع ظاهرة النسخ:

يرى طيب تيزيني أنّ القول بأزلية النص القرآني مرفوض تماما، و علل ذلك بأنها لا تتماشى مع ظاهرة النسخ، فالنسخ فيه تبديل في الآيات وإلغاء لأخرى، مما يعني أن النص ليس ثابتا ولا أزليا كما هو متداول، وأن مصداقية القول بأن " المصحف العثماني" يشتمل على كل ما أملاه النبي على كتابه قرآنا، موضع الشك والارتياب[3]؛ لهذا دعا طيب تيزيني إلى إعادة النظر في قوله تعالى﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾{الحجر: 9}؛ لأن مفهوم الحفظ لا يتناسب مع ظاهرة النسخ حسب زعمه حيث يقول:" فإذا كان هناك –بإقرار من النص ذاته ومن ثم من الفكر الإسلامي– إشكالية محدودة الملامح هي تلك المسألة، أفلا يقضي ذلك إلى طرح فكرة "إنا له لحافظون" كما هي شائعة في مفهومها المباشر على بساط البحث؟. وعلى هذا يغدو السؤال المركب التالي ضروريا: إذا كان النسخ قد حدث فعلا، بما فيه من تبديل لآيات وإلغاء لأخرى، فكيف يمكن القول بنص ثابت وأزلي يعيش فوق الأحداث والوقائع وله وجوده الأزلي في اللوح المحفوظ؟ ثم إذا كان هناك إقرار بالنسخ، فما الذي بقي في المصحف العثماني المكتوب، المحكم أم المتشابه؟ ..."[4].

إن ما قاله تيزيني هنا ليس بدعا من القول، حبث أننا نجد له مثيلا في كتابات حسن حنفي مثلا، حيث خصص هذا الأخير لموضوع " النسخ و أزلية النص القرآني" عنوانا منفردا في كتابه " مفهوم النص"، قرر فيه أن نزول الآيات المثبتة في اللوح المحفوظ تم

[1]– المصدر السابق، 332.

[2]– انظر: طه عبد الرحمن، روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الاسلامية، ط1، المركز الثقافي العربي المغرب،2006م ص 184–185.

[3]– انظر: طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية النبية والقراءة، ص 254.

[4]– المصدر نفسه،254.

نسخها وإزالتها من القرآن المتلو ينفي هذه الأبدية المفترضة الموهومة...[1].وعلى هذا يمكن القول بأن تيزيني وصاحبه هذا ينفيان قطعا ثبات النص القرآني وأزليته، مستشهدين بوقوع النسخ في النص القرآني، وهذا قول باطل جملة وتفصيلا.

تعقيب نقدي:

قبل البدأ بنقد كلام التيزيني في المسألة، يجب علينا أولا الحديث عن صورة المسألة وسبب تبني العلمانيين لهذا الرأي، والذي يبدوا من كتاباتهم وأقوالهم في الموضوع أنهم تبنوا الفكرة عن المذهب الأشعري الذي تحدث عن موضوع أزلية القرآن الكريم ووجوده في اللوح المحفوظ وكيفية إنزاله. يقول طيب تيزيني:" وقد انطلق الموقف من محاولة الإجابة عما تثيره المسألة المذكورة من أسئلة تتجه نحو العمق المتمثل –هنا- ب" تاريخية النص". فإذا كان هناك –بإقرار من النص ذاته ومن ثم من الفكر الإسلامي- مشكلية محدودة الملامح هي تلك المسألة...وعلى هذا بغدوا السؤال المركب التالي ضروريا: إذا كان النسخ قد حدث فعلا، بما فيه من تبديل لآيات وإلغاء لأخرى، فكيف يمكن القول ب" نص ثابت أزلي" "[2]

يقول نصر حامد أبو زيد:" ورغم أن جذور هذا السؤال تكمن في خلاف ناقشناه في مكام آخر بين الأشاعرة والمعتزلة حول قدم الكلام الإلهي وحدوثه...وكان من شأن سيادة هذا المفهوم أن يؤدي إلى تصور وجود أزلي سابق للنص القرآني في اللوح المحفوظ"[3].

لكن الأشاعرة لم يقولوا بأن الجزء القرآني المدون في اللوح المحفوظ أزلي وقديم ، لأنه لا أحد من المسلمين يمكن أن يعتقد أن اللوح المحفوظ قديم فضلا عما يحتويه، فاللوح المحفوظ مثله مثل دفتي المصحف يحفظ في داخله المعلومات التي كشفها أو يريد أن يكشفها الله عز وجل للبشر أو لنقل المعلومات الخاصة بالكون... لهذا فالنقد هنا يجب أن يوجه للمذهب الأشعري؛ لأنه هو الذي شاع وتجذر، و أدى إلى تصور وجود أزلي للنص القرآني في اللوح المحفوظ [4].

بعد أن حاولنا تصوير المسألة و بينا سوء فهم العلمانيين لقول الأشاعرة في الموضوع نرجع إلى الرد عن افترائهم، وهذا ببيان كيفية نزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، لعل أشهر الأقوال وأصحها في طريقة نزوله، ما أورده الإمام الزركشي عن ابن عباس حيث يقول:" أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة"[5]، ونفهم من هذا أنه نزل كاملا بناسخة ومنسوخه في هذه الليلة، ولم ينزل المنسوخ وحده. [6] ومعنى هذا الكلام أن القرآن ثابت أزلي إلى أن يرث يرث الله الأرض وما عليها.

وهذا ما يقودنا إلى القول بأن النسخ يشمل خطاب الله الموجه لنا ولا يشمل كلام الله القديم، فقد سبق إلى علم الله أن ينزل هذا القرآن في زمان ومكان محدد، بأسباب محددة، فالنسخ إذن يتناول الخطاب الإلهي من جهة تعلقه بنا، وتعلقه بنا حادث وليس

[1]- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص 148.

[2]- طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، ص 254.

[3]- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، ص113.

[4]- أحمد ادريس الطحان، العلمانيون والقرآن الكريم، ص526-527.

[5]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، 228/1.

[6]- محمد باديس، مفهوم النص وقراءته في الفكر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2016-2017م، ص 92.

قديما [1]. والخلاصة الكلام هنا أن النسخ قد شمل الخطاب الموجه إلينا لا كلام الله المثبت، وهذا منطقي جدا؛ لأنه الخالق ويعلم ما سيقع من نسخ، فنسخ الخطاب لا غير.

ولكي نجعل الصورة أوضح وأقرب إلى ذهن القارئ نستدل بمثال واقعي بسيط أورده الدكتور فضل حسن عباس في بيان العلاقة بين النسخ و أزلية النص القرآني وأنه لا تعارض بينهما، فقد شبههما بتخطيط البشر للمستقبل البعيد و وصولهم إلى النتائج المرجوة، وحاشاه الله عز وجل من هذا التشبيه وهو الخالق المصور، حيث يقول:"...نحن نرى اليوم أن من البشر من يخطط لسنين مستقبلة، بل نجد أن الإستعمار كان يخطط للشعوب الضعيفة تخطيطا مرحليا دقيقا، بحيث كان يتحقق جل ما كان يتوقعه...فإذا كان هذا شأن البشر فيما يخططونه ويتوقعونه فلماذا هذه المغالطات؟ ولماذا التعمية في الأمور؟ ولماذا تغطية الحقائق".[2] وبهذا لا يبقى في الذهن أي شبهة في تعارض القول بالنسخ وأزلية النص القرآني.

ب– أهم نتائج القول بتعارض أزلية النص القرآني مع موضوع النسخ:

إن قول تيزيني بعدم أزلية النص القرآني وثباته قد استلزم وقوع نتيجتين حتميتين: الأولى، وجوب تطبيق قواعد المنهج التاريخي على القرآن الكريم، مثلما طبقت على النصوص الدينية الأخرى. الثانية، القول بخلق القرآن الكريم كما أقرت به المعتزلة.

*أولا: وجوب تطبيق قواعد المنهج التاريخي على القرآن الكريم.

إن أغلب الكلام الذي قاله طيب تيزيني في موضوع النسخ وعدم توافقه مع أزلية النص القرآني مفاده الوصول إلى القول بأن القرآن الموجود في اللوح المحفوظ ليس هو القرآن المثبت في المصحف، وهذا ما يدعونا للتعامل معه على أنه نص تاريخي يخضع لما تخضع له النصوص الأخرى من عملية تجادل مطردة مع الواقع المشخص، إذا أريد لها أن تثبت فاعليتها وجدارتها لمواكبة الفعل البشري التاريخي[3]. وقد وافقه في هذا القول حسن حنفي حيث قال بأن ادعاء حفظ القرآن من قبل الله عز وجل ما هو إلا هروب من مشرحة النقد ولجوء إلى السلطة الإلهية، لكن يوجب علينا تطبيق قواعد نقد الكتاب المقدس على القرآن مثل غيره من الكتب الأخرى. [4].

يصرّ طيب تيزيني وصاحبه على تطبيق هذه المناهج الغربية على كتاب الله عز وجل، لكنهما لم يفقها طبيعته السماوية الربانية التي تجعله فوق كل القواعد والقوانين التي يضعها البشر، والتي لا يصلح تطبيقها إلا على النصوص المحرفة أو النصوص التي يكتبونها بأقلامهم، أما كلام الله عز وجل فهو محفوظ إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

وهذا الكلام لا يعني أن القرآن لا يخضع إلى مدارسة وبحث بل على العكس، فعلماءنا قد وضعوا قواعد وقوانين تتناسب مع قدسية القرآن و سماويته، وأساس هذا البحث يبدأ من شك منهجي ينتهي إلى يقين مطلق، أما العلمانية فتبدأ بحثها من شك لا منهجي وتنتهي إلى اللايقين.

---

[1]–انظر: أحمد إدريس الطحان، العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص، ص 528.

[2]– فضل حسن عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن، ط2، دار النفائس، 1436هـ/2015م، 377/1.

[3]– انظر: طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، ص 218.

[4]– انظر: طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية النبية والقراءة، ص 254. / اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، ط1، دار التنوير للطباعة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م، ص 22.–في الهامش–.

لهذا فتطبيق القراءات الحداثية لهذه المناهج كانت بمثابة هذم أركان الإيمان والإسلام، وتشكيك المسلمين في دينهم بدعوى التجديد في المناهج لمسايرة العصر، هذا ما يوجب علينا الاعتماد على المناهج الإسلامية الأصيلة، لسببين أولهما أن المناهج الغربية ظهرت نتيجة التمرد على الكنيسة بالإستعانة بعلوم المسلمين في الأندلس بعد فصلها عن أصولها. أما الثاني فلأن المناهج تفرغ النصوص بشكل عام من معانيها ومقاصدها التي كتبت من أجلها.[1]

نختم هذه النقطة بكلام لدكتور عمارة حول هذه المناهج حيث يقول:" لقد شوهت المناهج الغربية رؤاهم- يقصد العلمانيين- وزيفت وعيهم، فرأوا إسلامنا نصرانية، وخلافتنا كهانة، وقرآننا إنجيلا، وشريعتنا قانونا رومانيا، ومن ثم رأوا (الحل العلماني) هو طريقنا إلى النهوض، كما كان حاله في سياق النهضة الأوربية الحديثة"[2]

*ثانيا: القول بأزلية القرآن أوقعه في القول بخلق القرآن.

من أهم النتائج التي انجرت عن نفي تيزيني لأزلية القرآن الكريم القول بخلق القرآن الكريم، حيث يقول:" إذا كان القرآن قد أنزل على النبي آية آية محققا- بذلك- عملية التطابق الضروري بينه وبين الواقع البشري الموجه إليه، فكيف يمكن تحقيق المواءمة بين ذلك وبين كون القرآن أنزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا، أي على نحو مغاير للنزول المنجم؟ لعل هذا التساؤل يحيلنا –ثانية- إلى مسألة العلاقة بين القرآن و اللوح المحفوظ. ووجه العودة هنا يقوم على أن هذه العلاقة ذات بعد تابعي، يكون القرآن بمقتضاها تابعا للوح المحفوظ وعلى هذا، يغدو القرآن مخلوقا غير أزلي، أي قائما على كونه ذا مصدر بشري "محمدي"، وقد ورد في سياق سابق أن هذه المحاولة التأويلية ترتد بأحد مصادرها الكبرى إلى المعتزلة"[3].

وهو بهذا القول قد تابع المعتزلة في قولهم، فالمعتزلة في نظره قد أصابوا حين قالوا بخلق القرآن ؛ ذلك لأن مثل هذا النظر يتيح للباحث والفقيه والمؤمن العادي جميعا وكل من موقعه وفي ضوء إملاآته الإجتماعية والإقتصادية والثقافية وغيرها، أن يتصرفوا بالكلام المذكور بمثابته بنية تاريخية مفتوحة تخضع لاتجاهات التغيير والتبدل، التي تطرأ على تلك الوضعيات الإجتماعية المشخصة[4].

يواصل الرجل افتراءاته ويستدل بقول العشماوي الذي قال بأن المعتزلة كانت تهدف من كلامها هذا أن تربط الآيات بالواقع حيث يقول:" رأى المعتزلة أن القرآن مخلوق، وكانوا يهدفون من ذلك إلى ربط آياته بالواقع، وسيلاتها مع التاريخ، وعارضهم في ذلك السلفيون بزعامة أحمد بن حنبل فقالوا إن القرآن أزلي غير مخلوق. وهو قول يعني فصل القرآن عن الواقع وفصمه من التاريخ"[5]. لقد افترى طيب تيزيني وصاحبه على العتزلة حين قالا بأن الهدف من قول المعتزلة بأن القرآن مخلوق هو ربط الآيات بالواقع المعاش، وهذا ما لا نوافقه فيه أبدا .

وصنيع العلمانية هنا ليس من الأمانة العلمية في شيء؛ لأن الأمانة العلمية التي ينادي بها هؤلاء تقتضي أن يفسر كلام القائل أو الكاتب بما يريده صاحبه، لا بما تتطلع إليه نفس قارئه أو سامعه تبعا لأهؤائه وآرائه، فهم قولوا المعتزلة ما لم يقولوا، بل ما لم يخطر

[1]- إبراهيم بن يحي، مناهج الحداثيين في قراءة النص القرآني نظرات تحليلية نقدية، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ، www.tafsir.net

[2]- محمد عمارة، العلمانية بين الغرب والإسلام، ط1، دار الدعوة للنشر والتوزيع الكويت، 1417هـ/ 1996م، ص 29.

[3]- طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراء، ص 371.

[4]- المصدر نفسه، ص 298-299.

[5]- المصدر نفسه، ص 364.

على بال أحد منهم. ولو علم هؤلاء المساكين أن رأيهم هذا سيفهم هذا الفهم، ويحمل هذا المحمل، لصدعوا بالتبرؤ منه، ولرجعوا إلى مذهب مخالفيهم أهل السنة والجماعة.[1]

إن مقصد المعتزلة من القول بخلق القرآن مخالف لمقصد هؤلاء الحداثيين تماما، فمقصدهم عقدي يتمثل في التوحيد، وليس ثمة من علاقة بين ذلك وبين مفهوم التاريخية الذي وفد علينا من البلاد الغربية، واستهدف النص القرآني والنص النبوي للقضاء على سلطتهما، وإسناد تلك السلطة إلى الواقع. أما هؤلاء فيقصدون إلى إعتبار القرآن الكريم كغيره من النصوص البشرية تاريخية، ولا مانع من تطبيق المناهج الحديثة عليه مع قطع النظر إليه من زاوية الإيمان.[2] وفيما يلي مقارنة بسيطة بين الرؤية الإعتزالية للقرآن الكريم والرؤية العلمانية:

*اختلافهم في نظرتهم إلى القرآن الكريم ككتاب: لم يكن القرآن الكريم كتابا عاديا لدى المعتزلة، بل كان كتاب معجز نظمه وتأليفه، وهم بهذا لم يقولو بنظرية الأنسنة. أما العلمانيون فقد قالوا بأنسنة النص القرآني، ونزعوا عنه صفة القداسة وبذلك أصبح كتابا عاديا مثله مثل أي كتاب آخر.وهذا فرق شاسع جدا.

*اختلافهم في القصد من قولهم بخلق القرآن: فالمعتزلة كانت من أشد الناس إيمانا بالقرآن الكريم وبالإسلام، وقد كان لهم بلاء حسن في مواجهة الزنادقة والملحدين بالحجة والبرهان، أما العلمانيون فلا يحظى أغلبهم بهذا الشرف، ولا يُعبون عن مطامح الأمة، ولا عن آمالها ولا يشعرون بآلامها، وبل هم مع كل المناوئين لها الهادمين لثوابتها.[3] وبهذا تدحض شبهة هؤلاء، وتستأصل من جذورها.

4. التذرع بالنسخ لإخفاء التلاعبات التي وقعت أثناء جمع القرآن الكريم:

لقد أكد طيب تيزيني على وجود أخطاء كثيرة أثناء جمع القرآن الكريم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهذا بسبب الزيادة والنقصان التي تعرض لها النص القرآني من قبل الصحابة، حيث يقول:" بل إن الأمر يزداد وضوحا ورسوخا، حين يتعلق مثلا بنقصان القرآن والزيادة فيه، بالتبديل في ألفاظه وعباراته. فكما يرى البعض بإمكان الباحث ملاحظة أن {أحاديث نقصان القرآن في كتب أهل السنة كثيرة في العدد، صحيحة في الإسناد، واضحة في الدلالة}... ذلك أن القول بنقصان القرآن مضافة إلى جماعة كبيرة من صحابة رسول الله....وعلى رأسهم: عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، عبد الله بن عباس...إضافة إلى ذلك اشتهر عن عبد الله بن مسعود وأتباعه من زيادة المعوذتين...ومن التغييرو التبديل ماروه عن ابن مسعود..."[4]. ولقد ذكر عدة أسباب لوقوع هذا الزيادة والنقصان أثناء الجمع.[5].

---

[1]- أحمد محمد الفاضل، الإتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم دراسة ونقد، ط1، مركز الناقد الثقافي، 2008م ، ص 346-347..

[2]- محمد باديس، مفهوم النص وقراءته في الفكر العربي المعاصر، ص 93.

[3]- انظر: أحمد محمد الفاضل، الإتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم، ص 346-348/ أحمد ادريس الطحان، العلمانيون والقرآن الكريم، ص 460-462. – بتصرف-.

[4]- طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقرآءة ، ص 147-148.

[5]- انظر: المصدر نفسه ، ص 63-64/ 288.

إن أغلب ما ذكره طيب تيزيني في موضوع تحريف عملية الجمع نجد مبثوثا في أغلب كتابات المستشرقين، وسيلحظ هذا كل من له نظرة عامة على شبهات المستشرقين حول الموضوع ، فقد سلخوا الشبهات سلخا دون تكبد أي عناء، ويعود أصل هذه الشبهات إلى روايات ضعيفة ، شاذة أو مكذوبة استغلها هؤلاء وغيرهم لبث سمومهم حول القرآن الكريم.

لم يكتفي طيب تيزيني باتهام رسول الله والصحابة من بعده بالعبث في القرآن الكريم زيادة ونقصانا، لكنه تمدى في ذلك وقال بأنهم قد استنجدوا بموضوع النسخ لإخفاء ما وقع من تلاعب في الآيات، وبهذا فقد تملصوا من الواجب الذي أنيط إليهم. وليستدل على شرعية ما يقول استدل ببعض الروايات الضعيفة، وتخير من الأقوال ما يخدم فكرته فبتر الجزء الذي يحتاجه فقط – مثل استدلاله بآية الرجم، وبعمل زيد بن ثابت أثناء الجمع– وفيما يلي بيان للموضوع.

لقد استشكل طيب تيزيني عمل زيد بن ثابت الذي أخذ الآيتين من أبي خزيمة الأنصاري، الذي لم يجدهما عند غيره، بينما لم يأخذ بآية الرجم التي جاء بها عمر، حيث يعلق على قول زيد ويقول:" يقول زيد: (فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال، حتى وجدته من سورة التوبة آيتين مع أبي جزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره)[1]. إن زيد بن ثابت هنا يعلن أنه أقر ما وجده عند أبي خزيمة الأنصاري من القرآن، بالرغم من أنه لم يجد ذلك عند غيره، أي إن زيدا انطلق في هذا من الإقرار بامكانية منح المصداقية لمحدث ما، دون شاهد يشاركه الرأي فيما يقول به، فإذا كان ذلك ممكنا، فلماذا رفض زيد أخذ ما كان لدى عمر بن الخطاب– وهو آية الرجم – تلك الآية التي كانت بحوزته هو وحده؟ "[2]. فهذا العمل الذي قام به زيد لم يرض طيب تيزيني، فهو– يعني زيد– يعطي المصداقية حسب هواه دون الرجوع إلى غيره.

بينما نجده في موضع آخر من الكتاب يقول بأن عمر قد أسقط آية الرجم[3] من المصحف تلاوة، و أخذ بها حكما، وهذا ما أثار عند طيب تيزيني تساؤلا حول كيفية اثبات واسقاط آيات من القرآن الكريم– اسقاط آية الرجم من النص تلاوة والأخذ بها حكما–[4].

هذا الافتراء لم يقل به تيزيني وحده، بل وافقه في ذلك حسن حنفي حيث ربط موضوع النسخ بضياع جزء من القرآن أثناء جمع القرآن، وقال بأنها من المشاكل التي يجب الإجابة عليها لأنها تتعارض مع موضوع الأزلية حيث يقول:" فإن نزول الآيات المثبتة في اللوح المحفوظ ثم نسخها وإزالتها من القرآن المتلو ينفي الأبدية المفترضة الموهومة، ويجب أن نفهم الآيات الدالة على ذلك فهما غير حرفي. ولا يمكن للمفسر القديم التمسك بالمقولتين معا. فإذا أضفنا إلى ذلك المرويات الكثيرة عن سقوط أجزاء من القرآن ونسيانها من ذاكرة المسلمين ازدادت حدة المشكلة التي كان على العلماء القدماء ومن يتابعهم من المحدثين حذوك النعل بالنعل أن يواجهوها"[5].

---

[1]– محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1 ،دار طوق النجاة، 1422هـ، 71/6.

[2]– طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، ص 406.

[3]– حديث (الشيخ والشيخة فارجموهما البتة) الموطأ، مالك بن أنس ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط1، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، 1425هـ/ 2004م، 1203/5.

[4]– المصدر السابق، ص 392–393.

[5]– نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص 148.

إن كل ما يسموا إليه طيب تيزيني في موضوع الجمع القرآن الكريم، وما طرأ عليه من زيادة ونقصان، هو الإقرار بأن رسول الله والصحابة رضي الله عنهم قد قالوا بوجود النسخ في القرآن الكريم ؛ وهذا من أجل الخروج من مأزق الاضطراب الذي حدث أثناء جمع القرآن الكريم، واستدل بآية الرجم التي لم تثبت في المصحف الحالي، رغم اعتراف عمر بقرآنيتها زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم. لكن هذا مجرد افتراء لا صحة له اطلاقا.

تعقيب نقدي:

لقد تكفل الله عز وجل بحفظ كتابه العزيز، وإبقائه كاملا غير منقوص إلى أن يرث الأرض وما عليها، هذا هو معتقد كل المسلمين الصادقين الذين يؤمنون بقول الله عز وجل:﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾{الحجر: 9}، فهذا الحث يشمل الحروف والمعاني وكل شيء مرتبط بهذا الكتاب المقدس، وبالتالي يمكن القول بأن كل ما يدعيه المستشرقون والحداثيون في ضياع جزء من القرآن ونسيانه من الذاكرة البشرية دعوة لا تقوم على دليل، وكل الروايات التي يستدلون بها قد ردها العلماء متنا أو سندا، كما ردوا أغلبها بالدليل العقلي، فلم يبق لهؤلاء حجة يستدلون بها.

والذي نرد به قول طيب تيزيني وغيره في ادعائهم بأن بعض القرآن قد نسي من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم و الصحابة بعده، وجعل ذلك من قبيل النسخ...، هو بطلان قوله مطلقا، رغم جواز ذلك عقلا، إلا أنه لم يحدث أبدا فقد حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النسيان بعد تبليغ الرسالة، قال الله تعالى:﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾{الأعلى: 6}، ولقد حدث أن أسقط رسول الله آية من سورة في الصلاة فلما فرغ قال لأبي: (لما لم تذكرني، فقال حسبت أنها قد رفعت، فقال لا، لكني نسيتها).[1] وهذا يدل على أن النسيان العارض الذي يتذكر بعده جائز، أما النسيان المستمر للقرآن فلا يجوز.[2]

هذا في عهد رسول الله، أما في عهد الصحابة فقد قام زيد بن ثابت وبقية الصحابة بجمع القرآن الكريم مما كتب في عهد رسول الله، واتخذوا شاهدين على أن الآية قد كتبت بين يدي رسول الله، فكان القرآن كاملا غير منقوص، وقد كان بموافقة كل الصحابة ولم يعلم لهم مخالف، باستثناء ورود مجموعة من الروايات التي لا تصح.

أما مقصود زيد أنه لم يجد آيتين من سورة التوبة إلا عند أبي خزيمة الأنصاري لا يعني أنه لا يحفظها، بل على العكس يحفظها لكنه يبحث عنها مكتوبة؛ لأن المعتمد في جمع القرآن الكريم هو الكتابة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الحفظ، وإلا فالصحابة كلهم أو جلهم يحفظون القرآن الكريم، [3] أما حديث آية الرجم فلا يصح مطلقا، وقد تعقب الإمام النسائي الحديث وقال بأنه لا يعلم أحد ذكر هذا الحديث: الشيخ والشيخة غير سفيان، وينبغي أنه وهم والله أعلم[4].

ولقد صدَق التاريخ على هذا الحفظ الإلهي للقرآن المجيد..ومن يقرأ تاريخ التوراة، يعلم ما أصابها بعد سنوات من نزولها، ومن يتأمل تناقضات الأناجيل والفروق الهائلة بينهما، يعلم ما أصابه بعد سنوات معدودة من بعثة عيسى عليه السلام، لكن هاهو ذا

[1]- النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شبلي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421هـ/ 2001م، 345/7.- مع اختلاف في ألفاظ الحديث-.

[2]- انظر: فضل حسن عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن، 50/2-51.

[3]- انظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص413-414. / جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م، 206/1.

[4]- النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفور سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1411هـ/ 1991م، 280/5.

القرآن كما نزل به الروح الأمين على قلب الصادق الأمين، لم يتغير فيه حرف ولا رسم، وقد مضى أربعة عشر قرنا ونيف على نزوله، فالتاريخ–هو الآخر– قد غدا شاهدا على هذا الحفظ الإلهي لكل القرآن الكريم...أما بعض الروايات التي يفهم منهاالشك في حفظ هذا الكتاب كله؛ فإن منطق العقل، ومنهاج البحث العلمي، وقواعد نقد النصوص والمرويات التي اتفق عليها العلماء والعقلاء، تؤكد على ضرورة الموازنة بين المتعارض والمتناقض منها، والأخذ بالمصدر الأوثق عند تعذر الجمع.[1]

في ختام هذا الموضوع الخطير يمكن القول بأن هؤلاء الحداثيين يسعون إلى هدم هذا الدين و ضرب استقراره وإزالة ثوابته، وقد كان النسخ من أهم المداخل التي استعملوها في ذلك، لكن الله عز وجل قد كتب لهذه الرسالة الخلود إلى أن يرث الأرض وما عليها، وقد ضمنها كل ما يحتاجه البشر في حياتهم دينا ودنيا، وللعلماء والمتخصصين أن يستنبطوا الأحكام المستجدة في مختلف العصور.

6. خاتمة:

بعد أن حاولنا أن نبين موقف طيب تيزيني من موضوع النسخ وأزلية النص القرآني، توصلت إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها:

– اعتبار النسخ من أهم مواضيع علوم القرآن الحيوية من حيث الدراسة، كما أنها من أخطر المواضيع التي استغلها أعداء الإسلام من مستشرقين وحداثيين، ليبثوا شبههم حول القرآن، حيث استخدمه الحداثيون لإثبات تاريخية النص القرآني.

– ربط طيب تيزيني النسخ بموضوعين مهمين وهما: أزلية النص القرآني، حيث قال إن العلاقة بينهما علاقة تعارض وتناقض، أما الثاني:فجمع القرآن، حيث قال بأن الجمع قد تعرض لتلاعب وتغيير، ولإخفاء ذلك تذرع الصحابة بوقوع النسخ لإخفاء هذا الاضطراب.

– سعى طيب تيزيني إلى ضرب قدسية القرآن الكريم بقوله أن القرآن ليس أزليا، وهذا ما قاده إلى القول بخلق القرآن والكريم الذي قالت به المعتزلة، لكن هدف المعتزلة ليست إثبات التاريخية كما يدعي هو، بل قصدت شيء آخر وهو تنزيه الله عز وجل.

– لا يوجد أي تناقض بين الاعتقاد بأزلية النص القرآني والقول بالنسخ؛ وهذا لأن النسخ تبديل في المعلوم لا في العلم، فالله عز وجل قد كشف لنا عن بعض ما سبق به علمه القديم لا غير.

– جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه تم بشكل كامل غير منقوص، ولم يحدث أي تلاعبات كما يدعي هؤلاء، ليتذرع الصحابة بالنسخ ؛ فالله عز وجل تكفل بحفظ كتابه العزيز.

– لقد جعل الله الإسلام الرسالة الخاتمة وقد جعله مناسبا في أحكامه لكل زمان ومكان، لهذا لا نحتاج لإعادة تفعيل موضوع النسخ، بل نحتاج لاجتهاد العلماء لإيجاد حلول لمستجدات العصر الحالي، وهذا ما يعرف بفقه النوازل.

هذا ما وفقنا الله لكتابته في هذا الموضوع، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه الأطهار.

[1]– أحمد محمد الفاضل، الإتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم، ص 426.

7. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص.

الكتب والرسائل الجامعية:

1.أحمد إدريس الطحان، العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص، ط1، دار ابن حزم، 1428هـ/2007م.

2.أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.

3.أحمد بوعود ، علوم القرآن في المنظور الحداثي دراسة تحليلية نقدية لآراء الحداثيين في القرآن الكري، ط1، دار الكتاب المغربي- دار الكلمة للنشر والتوزيع، 1436هـ/2015م.

4. أحمد محمد الفاضل، الإتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم دراسة ونقد، ط1، مركز الناقد الثقافي، 2008م.

5.اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، ط، 1دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.

6.أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت.

7.باب العياط نور الدين، النص القرآني دراسة بنيوية، رسالة دكتوراه، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، 2015/2014م.

8.بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

9.بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ط1، دار الكتبي، 1414هـ/1994م.

10. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م.

11.سيد بن حسين العفاني، أعلام وأقزام في ميزان الاسلام، دار ماجد عيري للنشر والتوزيع.

12.شعبان محمد إسماعيل، نظرية النسخ في الشرائع السماوية، ط1، دارالسلام، 1408هـ/1988م.

13.طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية النبية والقراءة، دار اليبابيع، 1997م.

14. طه عبد الرحمن، روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الاسلامية، ط1، المركز الثقافي العربي المغرب،2006م.

15.علي حرب، نقد النص،ط4، المركز الثقافي العربي المغرب، 2005م.

16. فارس بن سيلين، القراءة التاريخية للسنة النبوية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د، تخص حديث وعلومه، اشراف: سامي رياض بن شعلال، جامعة الأمير عبد القادر، قسم كتاب وسنة، 2018-2019م.

17.فضل حسن عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن، ط2، دار النفائس، 1436هـ/2015م.

18.مالك بن أنس الموطأ، ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط1، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، 1425هـ/ 2004م.

19.محمد باديس، مفهوم النص وقراءته في الفكر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2016-2017م.

20.محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.

21. محمد عمارة، العلمانية بين الغرب والإسلام، ط1، دار الدعوة للنشر والتوزيع الكويت، 1417هـ/ 1996م.

22.محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ/1996م.

23.مختار الصحاح، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي، ط5، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة المصرية- الدار النموذجية، 1420هـ/1999م.

24.أبو المعالي الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، ط1، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1418هـ/1997م.

25.النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شبلي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421هـ/ 2001م.

النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفور سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1411هـ/ 1991م.

26.نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990م.
27.هشام جعيط، الوحي والقرآن والنبوة، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشرن 2000م.
28.هنري ماسيه، الإسلام ، ترجمة: بهيج شعبان، تعليق: مصطفى الرفاعي، محمد جواد مغنية، ط3، منشورات عويدات بيروت – باريس، 1988م.

المجلات و المواقع الإلكترونية:

- إبراهيم بن يحي، مناهج الحداثيين في قراءة النص القرآني نظرات تحليلية نقدية، مركز تفسير للدراسات القرآنية،www.tafsir.net
- أحمد جدي إبراهيم، 19 أفريل 2020م، التوظيف العلماني للناسخ والمنسوخ، موقع أثارة:https//atharah.com.
- سعيد عبيدي، طيب تيزيني والقرآن الكريم من وهم تاريخية النص إلى اجترار شبهات المستشرقين، مجلة دراسات استشراقية، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد14، 2018م.
- www.de alanbatnews.net.
- www. De aljazeera.net.
- www. Almothaqaf.com.
- www. Independentarabia.com.